عنوان البحث

جنون الباحث الإسلامي وعظمته في اختيار مواضيعه

رؤية منهجيَّة فكريَّة إبداعيَّة

في معالم البحث الأكاديمي

تأليف/ نبيل بن رزق بن محمد الصبحي

كاتب وباحث إسلامي

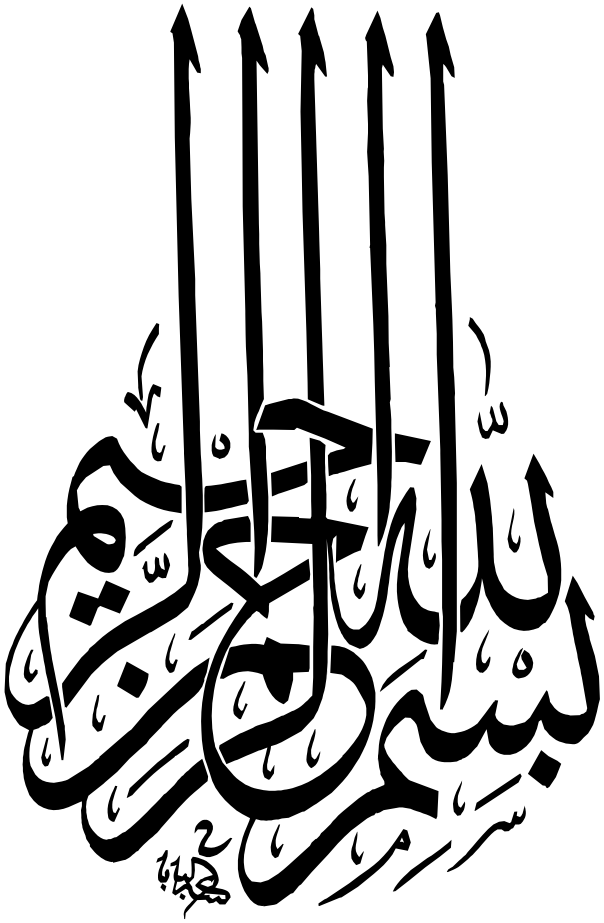
بسم الله الرحمن الرحيم

في أعماق البحث

رحلة إلى التفتُّح الذِّهني في آفاق الفكر والمعرفة والريادة

الباحث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين نبينا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

يُعدُّ اختيار الباحث الإسلامي لموضوعه عظمة تلبَّست في فكره وثقافته الواسعة، فهي سلسلة منظمة في رؤية الباحث للمواضيع الهادفة والجديدة التي تسدُّ فجوة الصَّدْع والتَّمزُّق في جانب من جوانب الحياة، أو في فنٍّ من العلوم.

فاختيار موضوع البحث هو من فنون الاتصال بين فكر الباحث الإسلامي وارتباطه العميق بمعرفة الدين الإسلامي لاختيار موضوعه الأخَّاذ في واقعه.

فعشق الباحث الإسلامي لزوايا الفكر والثقافة، وشغفه في بيانها، والاسترسال في مفهومها؛ شعور لامس حنايا القلب والوثبة المعرفية من خلال تصوراته لعظمة الشَّرع الحنيف وصفائه العذب في كلِّ مناحي الحياة، حتى يصل الباحث في تصوراته إلى قضايا أشبه ما تكون بالجنون لاكتشافها واختيارها موضوعًا، فهي حجر أساس لمناهج ورؤية غامضة.

ستجد في ثنايا بحثنا أفكارًا جديدة، وتأصيلًا فكريًّا يُعَدُّ إبرازه نوعًا من الابتكار والتجديد، مع اقتران البحث بحسٍّ دعوي يتبسَّط الباحث في إيراده بكلِّ وضوح، ومواضيع أخرى هادفة في المنهج والعقيدة قمتُ بصياغتها بمزيج من القراءة الواسعة والخبرة البسيطة في ميدان البحث العلمي مع التأصيل للعلم الشرعي، بذلتُ جهدي واستفرغتُ طاقتي في كتابة البحث وصياغته، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلتُ وهو نعم المولى ونعم الوكيل.

بادئ ذي بدء؛ تجد أن الباحث الإسلامي متميز في فنون شتَّى من العلوم، ولديه ارتكازات واضحة في تصورات الإسلام، خاصة في العقيدة وتأصيلها حسب منهج أهل السُّنَّة والجماعة، مع قراءة مُوسَّعة في بطون الكتب الإسلامية، وأخصُّ منها سيرة النبي -ﷺ-، والتاريخ الإسلامي عامة، وله دراية كاملة في مقاصد الإسلام الكليَّة، ثم له إلمام كبير باللغة العربية، مع تدبُّر القرآن الكريم في بيان أساليبها وبلاغتها.

وهناك جوانب أخرى لا يسعني التفصيل فيها، فهي معروفة لدى الجميع، ولكن أذكر أمرين مهمين:

الأول: معرفة توحيد الألوهية ودلالاته وبراهينه في الكتاب والسُّنَّة، حيث إنه الأصل العظيم؛ لتقريره وبيانه في الدعوة إلى الله.

الثاني: فقه الواقع والتفاعُل معه سلبًا أو إيجابًا.

ومما يندى له الجبين وتأخذك غُصَّة بين حين وآخر عندما تقرأ لأحد الباحثين في إحدى الجامعات المرموقة؛ فتجد خللًا كبيرًا في فهم العقيدة الصحيحة، فقد قرأتُ بحثًا أكاديميًّا لأستاذ دكتور في التربية الإسلامية، ومجمل بحوثه نافعة للإسلام والمسلمين، ولكن يعتصرك الألم عندما تقرأ في ثنايا بحثه خلطًا عجيبًا في قضية أفعال العباد، وهل الإنسان مسير أو مخير؟ تجد أن الباحث رغم بلوغه في العلم أعلى درجة أكاديميَّة إلا أن فكره لم يرتقِ لتصوُّر هذه المسألة بشكل صحيح.

وفي تقرير له آخر عند عرضه حديث: «أن الله خلق آدم على صورته»[(١)].

حيث ذكر الباحث أن الضمير يعود على آدم -عليه السلام-، ثم بيَّن ترجيح قوله بأن: "أرجح شيء أن نقول بأن الضمير يعود على آدم؛ حتى لا يلتبس فكر الناشئ عند ترجيح القول الأول".

وهذا الأصل لم يذكره أهل العلم في قواعد الترجيح، إلا أن بعض أهل العلم ذكروا أشباه ذلك تجوُّزًا في مقام الحجج والمناظرة؛ حتى يقف المخالف على حقيقة المعنى، وليس فيما ذكره الباحث شيء من هذا الباب.

ويظهر -والله أعلم- أن الباحث ليس له دراية بمنهج أهل السُّنَّة والجماعة في إثبات الصورة لله عزَّ وجل كما يليق بجلاله سبحانه وتعالى من غير تمثيل ولا تكييف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "لفظ الصورة في الحديث كسائر ما ورد من الأسماء والصفات، التي قد يُسمَّى المخلوق بها على وجه التقييد، وإذا أُطلِقت على الله اختصَّت به"[(٢)].

وقال ابن باز -رحمه الله- في فتاوى نور على الدَّرب: "هذا الحديث قد أشكل على بعض الناس وتأوَّلوه على أن المراد على صورة آدم، وهذا غلط، وليس من فصيح الكلام، بل المراد خلقه على صورته هو سبحانه وتعالى"[(٣)].

---

(١) (رواه البخاري ومسلم).

(٢) (نقض التأسيس ٣/٣٩٦).

(٣) (فتاوى نور على الدَّرب – معنى حديث خلق الله آدم على صورته).

وقال العثيمين –رحمه الله–: "فهذا الحديث يثبت بأن الله له صورة، وأن آدم –عليه السلام– خلقه الله تعالى على صورته"(٤).

ولعلي أحسنتُ الظنَّ بالباحث بأنه على منهج الأشاعرة في الأسماء والصفات، بعيدًا عن تجهيله، ولكن يبدو لي من قراءة بحثه أنه على منهج أهل السُّنَّة والجماعة، وإنما دعاه إلى ذلك ربط الحديث تربويًّا بما يناسب عقله وفكره في ميدان التربية، وهذا والله هو المصاب الجَلَل الذي اعترى طوائف كثيرة ابتعدت عن الحقِّ، مثل: المعتزلة، ومَن شابههم من الأشاعرة وغيرهم.

وهنا أجدني أنتقل إلى نقطة مهمَّة جدًّا، وهي مخرجات البحوث العلميَّة في الجامعات الإسلاميَّة، حيث إن هناك فجوة كبيرة بينها وبين متغيرات الواقع، بالرغم من أن شريعة الإسلام هي الشريعة الكاملة في نُظُمِها وتعاليمها، وأنها صالحة لكل زمان ومكان، وفي نظري هو خلل كبير في أنظمة الجامعات ولوائحها في اختيار عنوان البحث العلمي، وأيضًا غياب الابتكار والإبداع في اختيار عناوين البحوث العلمية؛ ممَّا أدَّى إلى تكرار في أغلبها، ولكن يختلف الزمان أو المكان.

ولا أنسى الإشادة ببعض البحوث العلمية التي لها وزن كبير في عمليَّة الفكر والثقافة والتأصيل العلمي الشرعي، وهي في الواقع خرجت من جامعات مرموقة عُرِفَت بالتأصيل المتين للبحث العلمي، ولكن يبقى الكثير من عناوين البحث العلمي تحتاج إلى معالجة فكريَّة وعلميَّة وتربويَّة.

وهو ما دعاني إلى كتابة هذا المؤلَّف الصغير ناصحًا ومرشدًا لكل مَن يهمُّه الأمر.

(٤) (شرح العقيدة الواسطية – المجلد الأول – ص ١٠٧).

وأوجز ذلك في نقاط مُهمَّة:

١- من خلال دراستي لمرحلة الماجستير والدكتوراه، واتصالي بطلابهما بصفتهم زملاء دراسة؛ لاحظت ضعفَ التحصيل العلمي المؤَصَّل لطلابها، وضعفًا كبيرًا في القراءة والاطلاع التي هي من أبرز سمات طالب الدراسات العُليا، وهنا أقترح أن تضع الجامعةُ لائحةً في بناء فكر طلاب الدراسات العُليا، حتى ولو لم تكن مُقرَّرًا دراسيًّا، وإنما يتم إبرازه بشتَّى الوسائل، مثلا: كعرض الأستاذ الجامعي لذلك أثناء محاضرته، أو كتابته في لوحات إرشادية تُعلَّق على حائط عند مرور الطلاب لفصولهم، أو تذكر الجامعة ذلك في لوائحها ضمن نصائحها في برامج المنهج للبحث العلمي، وما أشبه ذلك، فضعف التحصيل العلمي أمر ظاهر يجب على الجامعات معالجته لدى طلاب الدراسات العليا.

٢- تقوية ولاء الباحث لقضايا الإسلام وتبنّيها في الدعوة إلى الله، وتعزيز ثقته بنفسه بأنه أصبح باحثًا إسلاميًّا منذ التحاقه بالدراسات العُليا.

٣- يجب أن يكون للجامعات أهداف كُليَّة مترابطة فكريًّا تتسم بالتكامُل والشمول في اختيار عنوان البحث ضمن أُطُرها، حيث إن الأغلب على بحوث الدراسات العُليا أنها اجتهادية، يقوم الطالب باختيار موضوعه، أو يختاره له مشرفُه حسب قناعات وآراء شخصيَّة، ولا مانع ذلك طالما أنه عنوان يصبُّ في الأهداف الكلية المرسومة سلفًا من إدارة الجامعة.

وهنا أقترح عدَّة أهداف كلية لمواضيع البحث العلمي:

١- التصوُّر الإسلامي عن الإنسان والكون.

٢- الأفكار الرائدة في الأخلاق والذات من خلال تعاليم الإسلام.

٣- البناء العلمي في قضايا المنهج والعقيدة والأخلاق.

فهذه الأهداف تندرج تحتها مواضيع عديدة تصل إلى الزَّخم العلمي في اختيار الموضوع، الذي يجد به طلاب الدراسات العُليا سهولة في ذلك، بدلَ أن كان أمرًا شاقًّا وفيه صعوبة بالغة قبل ذلك.

وكان هذا الأمر موجودًا في الجامعات، ولكن يعتري ذلك قصور في إبرازها بشكل واضح للطلاب في الدراسات العُليا، ولا يختص بمعرفتها الجانب الإداري فقط، حتى يستطيع الطالب أن يتصوَّر عنوان بحثه متناسقًا مع هذه الأهداف بكل أريحية.

وهنا أجدها فرصة للالتقاء برواد العلم والتربية، فهو شرف نِلت وِسامَه، فالحديث ذو شجون مع زملائي في الدراسات العُليا وأساتذتنا الأفاضل، وأيضا مع إخواني روَّاد الدعوة إلى الله المعروفين بأقلامهم في الشبكة العنكبوتيَّة.

فكم هو جميل أن نتناقش في الأفكار والأطروحات العلميَّة بكل حبٍّ وصفاءِ قلب، فهي سعادة عجلت طيِّباتها في الحياة الدنيا. ومذاكرة العلم معروفة عند السلف الصالح -رحمهم الله-، بل إنَّ منهم مَن يذاكر العلم مع نفسه ويرفع صوته؛ حتى يحفظه، قال إبراهيم النخعي -رحمه الله-: "مَن سرَّه أن يحفظ الحديث فليُحدِّث به، ولو أن يُحدِّث به مَن لا يشتهيه، فإنَّه إذا فعل ذلك كان كالكتاب في صدره".

وهنا أطالب علماءنا ومشايخنا وأساتذتنا في الجامعات وروَّاد الدعوة: أن يُسهِّلوا لطلاب العلم فرصةَ التواصل معهم، والاستفادة من آرائهم، والنَّهل من علمهم وتجاربهم؛ بوضع عناوين لهم في مواقع التواصل الاجتماعي، ومحاولة الردِّ قدرَ المستطاع ولو تأخَّر الردُّ.

ولعلي أنتقل إلى نقطة مهمة أخرى وتوضيحها بكل شفافية:

ألا وهي عزوف كثير من أساتذتنا في الجامعات عن الدعوة إلى الله وتعليم المجتمع، سواء عبر مواقع التواصل الاجتماعي مثلًا، أو بإلقاء الدروس والمحاضرات والندوات القيمة في الواقع، وانحصار أغلب نشاطاتهم في الجانب الأكاديمي فقط.

ربما يفتح الأستاذ الأكاديمي حسابات في تويتر أو الفيس بوك فلا يلقى إقبالا في عدد المتابعين لحسابه؛ مما يُنشِئ لديه قناعة بهجر مواقع التواصل.

وحلُّ هذه المشكلة يسير جدًّا: تتمثل في شراء حساب في تويتر أو اليوتيوب أو الإنستغرام أعداد متابعيه كبير جدًّا بمبالغ زهيدة جدًّا، تمتلك فيها الحساب رسميًّا باسمك إلى الأبد.

ومتوسط الأسعار الموجودة الآن في سوق تويتر والإنستغرام:

عشرة آلاف متابع = ١٥٠ ريالًا.

مائة ألف متابع = ١٥٠٠ ريال.

مليون متابع = ١٥٠٠٠ ريال.

وفي فتوى لموقع إسلام ويب ما نصُّه: "لا حرج في شراء حساب في موقع (الإنستغرام) وغيره من مواقع التواصل ما دام متابعو الحساب حقيقين غير وهميين، وكان الغرض المقصود منه مباحًا"(٥).

وفي هذا المقام أهيب بإخواني من طلاب الدراسات العُليا وأساتذتي في الجامعات الدخول في الميدان، وحمل همِّ الإسلام وتبليغه، وتوجيه الشباب والنِّساء لما فيه صلاح للنفس والمجتمع والوطن، والارتقاء بهم إلى ميادين النهضة والحضارة الإسلاميَّة.

(٥) (رقم الفتوى ٢٩٦٩٨٦).

ويمكن إبراز هذا الجانب في عدَّة نقاط:

١- تقديم أساتذة الجامعات محتوى مميزًا في تخصصاتهم ينتفع بها طلاب العلم، وتستنير عقولهم من متخصِّص في هذا الفنِّ قد غاص في أعماق بحار هذا الفنِّ، واستخرج جواهرَه ودُررَه.

٢- تقديم محتوى مرئي يتحدث فيه طلاب الدراسات العُليا وأساتذة الجامعات عن مواضيع مهمة تلامس شغاف المتابعين في منصات التواصل الاجتماعي.

وهنا ألفت انتباهك إلى أن هناك طُرُقًا إبداعيَّة تساعد في انتشار المقطع إلى أكبر عدد من المتابعين، أختصرها لك في النقاط التالية:

١- أن تكون أغلب المقاطع قصيرة جدًّا لا تتجاوز دقيقة واحدة، ولا بأس أن يكون هناك مقاطع أخرى طويلة.

٢- أ- عند النشر في الإنستغرام: هناك خانة مخصصة في البرنامج لمقاطع "ويلز" اضغط عليها وانشر مقاطعك فيها، فهي تصل إلى آلاف المتابعين وربما الملايين، حتى لو كان عدد متابعي حسابك في الإنستغرام قليلًا، وهذه الخانة هي محطُّ أنظار المتابعين في البرنامج بشرط أن لا يتجاوز المقطع ٤٠ ثانية.

ب- النشر في التك توك رائع وجذَّاب، وتستطيع جذب عدد كبير من المتابعين في وقت قصير بشرط أن يكون المحتوى مميزًا ورائعًا، فهو يحقق انتشارًا واسعًا بحكم تصفُّح متابعيه بشكل تلقائي للمقاطع، وهنا يجب أن تأخذ في الحسبان أن أغلب متابعيه صغار في السِّنِّ بنسبة ٦٠%، والبقية من مختلف الأعمار.

ج- عند النَّشر في اليوتيوب أفضل طريقة تبدأ بها في نشر مقاطعك خاصة إذا كان الحساب جديدًا؛ أن تبدأ بمقاطع قصيرة، وهي إنشاء فيديو shorts، فهي تحقِّق انتشارًا واسعًا.

ومن الأهمية بمكان أيضًا نشر مقاطعك في مجموعات الواتس، ففيها خير كبير ونفع كثير.

د- الكتابة في تويتر أمر مهم بالنسبة إلى روَّاد العلم والفكر والتخصُّص، فهي تمرين وصَقْل لموهبة الكتابة لديك، لذا لزامًا أن تكتب بروح عالية وحماس شديد بأن العالم يقرأ أفكارك في التوِّ واللحظة.

ومن خلال التجربة في موقع تويتر؛ اتضح أن الكاتب الذي يقدم محتوى مميزًا وجذَّابًا مع الاستمرار في ذلك؛ سيصبح محطَّ أنظار المتابعين في وقت قصير، والقبول أولًا وأخيرًا بيد الله سبحانه وتعالى، فقد كُتِب أجرك حتى ولو لم يقرأ أحد ما كتبتَه.

وعليك في ثنايا دعوتك أن تحمل نفسك على الإخلاص، والاحتساب، واستحضار الثواب، وقوة العزم على فعل الخير، وبين ذا وذا لا تنسَ أن تُقِيم عبادتك على أكمل وجه مع وردِّ القرآن والأذكار.

📖 **قال –عليه الصلاة والسلام–:** «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ»[٦].

✍ **قال النووي –رحمه الله–:** "ومعناه: احرص على طاعة الله تعالى، والرغبة فيما عنده، واطلب الإعانة من الله تعالى على ذلك، ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة"[٧].

(٦) (رواه مسلم).

(٧) (المجموع).

صفات الباحث الإسلامي:

وهنا أشير إلى روح الباحث العظيم الذي يتمتع بإرادة قويَّة، وعقل ذكي، وأخلاق كريمة، يقودها عقيدةٌ راسخةٌ لا تنخرم خرزاتُها في قيادة فكر الباحث نحو الرِّيادة في ميادين العلم والنهضة، والتقدُّم لأمته ووطنه.

١- الباحث الإسلامي لديه شغف لا ينتهي من المعرفة، وسَعة الاطلاع، والتأصيل المتين لقضايا الإسلام على ضوء الكتاب والسُّنَّة، والاستنارة بأقوال السَّلف الصالح والعلماء الربانيين في تحديد الاتجاه الصحيح في مقارنته وبحثه.

٢- تمكُّن الباحث الإسلامي في علم العقيدة، واللغة العربية، وأصول الفقه، وعلم الحديث، وفقه مقاصد الشرع؛ حتى يبنيَ فكره على منهج سديد في تصورات تعاليم الإسلام.

فأغلب التخبُّطات في العلم هي قصور في إدراك حقيقته على ما هي، وهذا شيء مُلاحَظ في أقوال بعض أهل العلم، فعلى سبيل المثال: نجد الارتباك الشديد والتذبذُب في منهج الإمام البيهقي في إثبات صفات الله عزَّ وجل، فهو يُقرِّر على مذهب الأشاعرة، ويخالفهم في مسائل وافق فيها مذهب السَّلف، قال عنه ابن تيمية -رحمه الله-: "الحافظ أبو بكر البيهقي وأمثاله أقربُ إلى السُّنَّة من كثير من أصحاب الأشعري المتأخرين الذين خرجوا عن كثير من قوله إلى المعتزلة أو الجهمية أو الفلاسفة".

وانظر أيضا إلى قصور كبير في فهم معنى "لا إله إلا الله" عند كثير من الطوائف التي خالفت المنهج الحقَّ في تفسيرها، وهو منهج أهل السُّنَّة والجماعة.

فيُفسِّرها الفلاسفة بتوحيد الربوبية بقولهم: "لا خالق أو مخترع أو صانع إلا الله".

ويُفسِّرها أهل الاتحاد: "بأن الخالق هو المخلوق، والمخلوق هو الخالق".

وأفظع من ذلك تفسير الجهمية بقولهم: "إن الله بذاته في كل مكان"، ويجعلونه مختلطًا بالمخلوقات، ومنها: الكلاب والخنازير، تعالى الله عن ذلك علُوًّا كبيرًا.

وكذلك الأشاعرة بقول السنوسي: "الإله هو المستغْنِي عمَّا سواه، المفتقر إليه كلُّ ما عداه".

وكل هذا خلل عظيم في التصوُّر الصحيح الذي ضلَّت فيه أقوام في أعظم كلمة، والتي هي عنوان الإسلام.

أما المعنى الصحيح لكلمة "الإله" فهي فِعال بمعنى مألوه، أي: معبود، وهو لا معبود بحقٍّ إلا الله، ومعنى ذلك: أن كلَّ المعبودات إنما عُبِدت بغير الحقِّ، قال الله عزَّ وجل: { ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ٦٢ } [الحج: ٦٢].

وهنا تكمن أهمية بناء الباحث الإسلامي نفسه علميًّا في فهم الشريعة الإسلاميَّة على أكمل وجه، ولأهل العلم طرائق شتَّى في تأصيل العلم الشرعي لطلابهم، يُرجع إليها مظانِّها، مع الأخذ بعزيمة النَّفس والهِمَّة العالية في طلب العلم؛ لبلوغ هداياته، والاستبصار بمنهجه المستمد من الكتاب والسُّنَّة.

واعلم أيُّها المُوَفَّق: أنَّ الجهل وصمةُ عار تلاحق صاحبَها في حِلِّه وترحاله، والنفوس الأبيَّة تأبى ذلك، وتُسارع في تغذية ذاتها بسلاح العلم الشرعي، وتسمو روحها في عبادة ربِّها على يقين وثبات.

فكم يَندَى الجبين عندما ترى كثيرًا ممن يُتوسَّم فيهم الخير فارغين من علم الشريعة، لاهِين في هذه الدنيا بمجرياتها والحديث عنها، فهم يعيشون كيفما اتَّفق، لا علم يرشدهم، ولا دعوة إلى الله تسندهم، ولا هدف ولا غاية، نعوذ بالله من الخذلان العظيم.

وفي المقابل هناك طلبة علم قد جادوا بمقتبل شبابهم على العلم والتحصيل بكلِّ هِمَّة ونشاط، تستبشر بهم الأمة خيرًا في قادم الأيام.

٣- ومن الأهمية بمكان سلامة فكر الباحث وعقله وفهمه من الانحراف والخروج عن الوسطيَّة، وأن يكون معتدلًا في فهمه للدين والكون والسياسة.

"فما أحسن ما قال بعض السلف: ما أمر الله بأمر إلا اعترض الشيطان فيه بأمرين –لا يبالي بأيِّهما ظفر–: غلو، أو تقصير"(٨).

٤- تبرز أهمية كبرى لدى الباحث في استلهام الأفكار ضمن قراءاته المتنوعة في مجالات شتَّى، ومعرفة الأفكار ذات القيمة الفكريَّة الكبيرة مهارة فريدة تُنبِئ عن توقُّد ذِهن الباحث في قراءته، وعمل تحليلات منطقية في المقارنة والتشخيص؛ للوصول إلى زاوية فكرية جديدة كانت غامضة في معرفتها، وهنا أوصيك أن

(٨) (مجموع الفتاوى: ١٤/٤٨٣).

تعتنيَ بالأفكار الرئيسة عند القراءة، وربطها مع ذات الأفكار الرئيسة في قراءات متنوعة أخرى، ولا أنسى أن أثير اهتمامك إلى قضايا القرآن الأساسية والاهتمام بها، وكذلك في السيرة النبوية.

٥- أيضًا من الأمور المهمة في صفات الباحث جانب الأخلاق والتزكية، وقد نال حظًّا كبيرًا من نصوص الكتاب والسُّنَّة، وأفرد له كثير من العلماء مصنفات ومؤلفات، "قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠} [الشمس: ٩، ١٠]، ذكر الله قبل ذلك أحدَ عشرَ قسمًا على قضية واحدة، وهي قد أفلح مَن زَكَّاها، وقد خاب مَن دسَّاها، وإن شئتَ أن تجعلهما قضيتين، فهذا لا يخفى ما فيه من أهمية تزكية النفس، ولا شك في هذا؛ لأنه يتوقَّف عليه النَّجاة والسَّعادة في الدنيا والآخرة"[٩].

والتزكية إذا وُجِدَت في المجتمع المسلم؛ فإنها وحدها من أعظم وسائل الدعوة إلى دين الله، فإن الناس إذا رأوا جمال خُلُق المسلم وحُسن معاملته وأدبه وطيب كلامه؛ ينجذبون إليه، ويميلون إلى دينه الذي تربَّى عليه، وأوصله إلى هذا الجمال والرُّقِي، ولا يمكن أن تقوم حضارة راقية إلا على معاملة طيِّبة وأخلاق راقية، وكل حضارة تنقصها الاخلاق فهي مُهدَّدة بالزوال، وأخطر الآفات التي تعترض طلاب العلم والدعاة هي حبُّ الدنيا، والرِّضا عن النَّفس، والرِّياء، وحبُّ الظهور، وما يتبع ذلك من الهوى، والكِبر، والعُجب، والغرور.

٦- أن يجيد الباحث الإسلامي فنون الحوار والمناظرة، منطلقًا من إيمانه العميق، ويقينه بما يحاور من أجله، في ظلِّ التوجيه الإلهي: {ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ} [النحل: ١٢٥].

قال ابن القيم -رحمه الله-: "جعل اللهُ مراتبَ الدعوة بحسب مراتب الخلق، فالمستجيب القابل الذي لا يُعاند الحقَّ ولا يأباه: يُدعَى بطريق الحكمة، والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخُّر: يُدعَى بالموعظة الحسنة، وهي الأمر والنَّهي المقرون بالترغيب والترهيب، والمعانِد الجاحِد: يُجَادَل بالتي هي أحسن"[١٠].

وهنا ينبغي للباحث أن يكون مُلِمًّا بفنون الحوار والمناظرة، مبنيًّا على نصوص الكتاب والسُّنَّة، ففيهما

(٩) (التفسير والتدبر – سورة الشمس – موقع خالد السبت)

(١٠) (مفتاح دار السعادة).

فيه شفاء القلوب من داء الجهل والشك والريب، فلم يُنزِل الله سبحانه وتعالى من السماء شفاء قطُّ أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أسرع في إزالة الدَّاء من وحيه سبحانه وتعالى.

ويظهر ذلك جليًّا عند تأمُّل الكتاب والسُّنَّة في المحاورة والمناظرة، عليك تأمُّلها وفهمها ومعرفة أقوال المفسرين وأهل العلم في ذلك، فهي النور لمن أراد أن يستضئ بنوره، وهي الإتقان لمن أراد إتقان عمله، بَيْدَ أنَّ هناك مؤلفات في هذا الجانب يُستحسَن الاستفادة منها، أذكر منها على سبيل الإيجاز: أدب الحوار، للمؤلف سعد الشثري، وكتاب الحوار مع أتباع الأديان مشروعيته وآدابه، للمؤلف مُنقِذ السَّقَّار، وكتاب ثالث بعنوان ضوابط المعرفة في أصول الاستدلال والمناظرة، للمؤلف حبنكة الميداني، كما هناك بحوث أكاديمية مُحَكَّمَة في هذا المجال فهي نافعة جدًّا، وفيها التأصيل العلمي لجوانب عديدة من الموضوع، فالحوار مجال خصب لنُصرة الحقِّ، خاصة مع الطوائف المنحرفة في العقيدة، وهذا يندرج تحته التمكُّن في العلم ومعرفة أصول الشُّبْهة وردها بأحسن بيان.

جولة في انطلاقات الفكر الإسلامي:

دعني أبحر بك أيُّها المُوَفَّق في رحلة ماتعة مع الفكر، بعيدًا عن قيود العبودية والتعسُّف أيًّا كانت صورها، فهي فضاء واسع وحقٌّ ذاتي يعيشه كلُّ إنسان في واقعه مع احترام الطَّرف الآخر، وبناء مساحة أخلاقيَّة من الحكمة الرشيدة والتسامح، مما ينتج جيلَ الإبداعِ والأصالة والابتكار، جيلًا ذا سمات عالية نفسيًّا وثقافيًّا تجول في أرض الواقع، تصافح في ملكوتها أهلَ العقول السديدة، وتتلاقى بهم دون أن يشعر بهم مشلولو الفكر والثقافة.

إنَّه جمال يعيشه صاحب الفكر في حياته أسمى من التصالح السلمي مع الذات والحياة، بعيدًا عن الظلم والاستبداد الذي تمارسه بعض الأنظمة، ومن جانب آخر الحقد والكراهية التي تمارسه بعض المذاهب الإسلامية مع بعضهم.

وحتى تتضح المسألة لديك: إنَّ بناء جيل إسلامي منفتح على الإسلام وتعاليمه والعصر، بحيث يكون قوة فاعلة في انطلاق الإسلام نحو العالم يعترضها عقبات كؤود، أُجمِلُها في أمرين:

الأول: تحديات الواقع المعاصر والصراع المرير بين الإسلام والكفر، حيث أجمع علماء الغرب بأن "الخطر الذي يواجههم من الأديان والحضارات هو الإسلام". فالقوى السياسيَّة العالميَّة تحارب كلَّ فكر إسلامي تتبناه جماعة في الدول المستضعفة تحت سلطته.

الثاني: أن الجيل الجديد الناشئ لا يملك المفاهيم الواضحة العميقة في شخصيته الإسلاميَّة، ليحمي نفسه من التيارات المؤثرة في الساحة التي وضع فيها، فهو يعيش أغلب أوقاته في اللهو واللعب، مع ارتباط حياته بأهداف فارغة، وضبابية الأفكار المتصلة بالله أولًا، وبالإنسان ثانيًا، وبالحياة ثالثًا، وحصيلة علمية بالشرع ضئيلة جدًّا رابعًا.

فهي وقفة تأمُّل وحساب وتدبُّر مبنيَّة على إصلاح الإنسانِ نفسَه، وترتيب حياته وَفْق الحُبِّ في الله والبُغض في الله، وعدم الخضوع إلا لله، بعيدًا عن الذُّلِّ والمهانة لغير الله باستمالتهم والتقرُّب منهم؛ نتيجة ضعف النفس ورغباتها الجامحة في رغد العيش والحياة، أو في سبيل الصراع الفكري التي تنتج ردودًا حائرة وخوفًا وهلعًا، يتساقط الإنسان في مستنقعها ناسيًا إيمانَه العميق وربما مبادئه، مما يلزم مراجعة قويمة للنَّفس تستدرك ما فات، وتستثمر ما بقي؛ للرجوع إلى العقيدة الصافية، وسلوك سبيل المهتدين، متوكلًا على الله، مُوقِنًا بحفظه وسعادته في الدارين.

ولنا في أسلوب القرآن الكريم منهج حياة يدفعنا إلى الامام والأخذ بزمام الإسلام نحو العالميَّة، ودخول الناس كافة فيه علانية.

حيث تجد أسلوب القرآن وبلاغته في تجسيد توحيده وتقريره على مشهد من الحِسِّ والمشاهدة الحيَّة في ساحة وجدانك قبل وصوله إلى فكرك، بعد عرض نِعَمِه وبيان فضله؛ حتى تسموَ جميعُ ذرَّات إحساسك للحقيقة الخالدة التي لا مجال فيها للشَّك والرَّيب، حين يخاطبك في مشهد جمالي أخَّاذ في ملكوت الفكر واللغـــة: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨} [الانفطار: ٦ – ٨]، حيث التَقَتِ القصَّةُ بالفكرة، والفكرةُ بالسلوك كأنما هو واقع في الحال.

إنَّه جمال القرآن الكريم المستمد نظمه وكلامه من اسم الجميل لذات الباري عزَّ وجل، { ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ٧} [السجدة: ٧]، قد يعجز العلماء السابقون واللاحقون والجهابذة منهم والفصحاء عن تدبُّر معانيه، ويفتح عليك بعمق التجربة في الميدان.

يا له من قرآن عظيم! عجزت عنه كتب التفسير بأكملها ومؤلفات المتقدمين ببيان جماله، ولطافة إحساسه تنمو مع شخصية المسلم المثابر في إعلاء كلمة الله في الميدان في ظل الصراع بين الحقِّ والباطل، بين الخوف والرجاء، والأمن واليأس تتجلَّى في داخله أعمق نقطة لفهم التوحيد الخالص، وتثبيت الله له عند مُنعطفات النَّفس، فالعلاقة مع الله لا يفهمها على حقيقتها إلا المجاهد الصابر في ميدان الفكر والسياسة، فعلى كلِّ عالم وباحث وداعية إذا أراد أن يظفر بأساليب القرآن ومنهجه لتصوير قضاياه وروعة خطابه؛ أن يعيش جهاد الكلمة والبيان والإصلاح في واقعه، فالعقيدة وتدبُّر القرآن لا يُفهَم من الأبراج العاجيَّة المنفصلة عن تقريراته حسًّا وشعورًا في تقلُّباته في الحياة والكون، وما كُتُب التفسير إلا انطلاقة في فهم المعنى الحقيقي للقرآن، ومنها يستمدُّ الباحث الإسلامي تصوراتِ فكره لفهم قضايا الإسلام المتعلقة بالله والإنسان والكون، ويتسق نظامها مستمدَّة من المنهج القرآني.

وفي اتِّساق فكري ماتع تجد حديث القرآن عن دعوة الرسل يجسد لك مشهد قوة التحدي في المواجهة، متمثلة في سذاجة وغباء الكفر وشراسته مع روحانية الرسالة الربانيَّة والوعي الإيماني، تتمثَّل أمامك الساحة الفكريَّة بكلِّ معطياتها بوضوح لتراه واقعًا متلبسًا بك.

قُلْ لي بربّك: هل رأيت منهجًا في مناهج التعليم والتربية أكثر وضوحًا من القرآن الكريم في بيانه وتوصيف أطرافه وموازين القوى؟ ثم ختم ذلك المنهج بخاتمة قد تكون هي الأروع والأجمل في النهايات التي على مرِّ التاريخ، وهي نصر عباده المؤمنين.

إنَّه القرآن الكريم التي غفل عن تدبُّره المصلحون، وتشاغل عنه أهل العلم بغيره، إنَّه الفكرة والمنهج والأسلوب والمعايير والأهداف والخاتمة في تصور قضايا الإسلام من لدُن حكيم خبير.

وأخيرًا؛ اعلم أيُّها المُوَفَّق:

أنَّ من أساليب هذا القرآن المجيد التي لا يرتوي الباحث والعالم من معينه الصافي، تتجلى عظمته في أسمى معاني التربية في هذه الحياة لكلِّ مَن أراد التعامل معه بصِدْق ووضوح، لا يعبأ بضعاف النُّفوس، ولا يرمي بشيء من عظمته إلى أهل الهِمم الدَّنيَّة، إنَّه قرآن مجيد يلامس أهل القلوب الحيَّة والصادقة، أهل اليقين والثبات في تعاليمه وأطروحاته.

الأفكار الرائدة في صناعة المحتوى وتطبيقه:

اعلم أيُّها المُوَفَّق: أن اختيار عنوان البحث يدور في فلكين اثنين لا ثالث لهما:

أولهما: البحوث العلمية لحلِّ مشكلة ما، سواء على مستوى الفرد أو على مستوى المجتمع، ويدخل في ذلك الردود العلميَّة على المخالِف، وهي باختصار الردود العلميَّة للمغالطات العلميَّة أو التاريخيَّة أو الاجتماعيَّة أو السياسيَّة.

ثانيهما: البحوث العلميَّة في مجال التقدُّم والتطوُّر أو وضع أُسُس وضوابط لقضية ما جديدة في تصورها، فهذه البحوث ترمي إلى الابتكار والجودة في قضية ما.

ومن خلال استقرائي لعدد كبير من البحوث العلميَّة، وجدتُ أنه يجب مراعاة التالي في اختيار الموضوع في كلا الأمرين:

١- أن اختيار عنوان البحوث العلمية هو اللَّبِنة الأخيرة للموضوع، وليست الأولى، مما يوقد ذهن الباحث في تصوُّر النتائج الممكنة باستقراء سريع للمعلومات وماهية البحث العلمي في تصوُّره الأخير، وحتى يتضح ما أرمي إليه أعطيك مثالًا واضحًا: وهو تصنيف الإمام الشافعي علم أصول الفقه، ووضعه قانونًا كليًّا له يُرجَع في معرفة مراتب أدلة الشَّرع إليه، وكذلك مؤلفات شيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب، وخاصة ثلاثة الأصول، وكشف الشُّبهات، وكتاب التوحيد، فإنَّ الشيخ -رحمه الله- وضع اللَّبِنة الأخيرة لنصوص الكتاب والسُّنَّة، وهي أشبه ما تكون بقواعد علميَّة رصينة، وهذه الطريقة تستمدُّ قوتها في اختيار عنوان البحث المناسب بدقَّة، مع فتح آفاق جديدة في مواضيع جديدة كثيرة في البحث العلمي، وكذلك استثمار أدلة الشَّرع وفهمها في صياغة مناهج وأُسُس في قضايا كثيرة في الإسلام، وهي في نهاية الأمر فكرة أضعها بين يدي القارئ، ربما يستحسنها أو يرفضها أو يُطوِّرُها، وأسال الله أن يتقبَّل من الجميع.

٢- من الأفكار الرائدة في اختيار عنوان البحث تدبُّر القرآن الكريم؛ لأنك تجد فيه روعة وخلابة منظر في ألفاظه وبنائه اللغوي البديع، وتجد جمالًا في بلاغة معانيه، وفوق هذا وذاك تجد تصوراتٍ ربانيَّةً لقضايا متعدِّدة قد يغفل عنها أرباب العلم، وكل إنسان بما فتح الله عليه.

فعلى سبيل المثال: قوله تعالى: { إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ } [الإسراء: ٩]، نجد أن العلَّامة الشنقيطي في أضواء البيان تحدَّث عن هذه الآية بما يزيد عن خمسين صفحة، فيها فوائد جمَّة في فنون علوم الإسلام من لغة وأصول فقه ومقاصد الشريعة ومسائل فقهية، مع الاستشهاد بنصوص الكتاب والسُّنَّة في ذات الموضوع، فهي مواضيع جديرة بالاهتمام لروَّاد الفكر والثقافة يقدِّمها الشنقيطي -رحمه الله-

في استلهام هدايات الآية، ودعني أنقل لك غزارة المواضيع في هذه الآية رغم قِصرِها مستلهمًا الأفكار الرئيسة من كلام الشنقيطي -رحمه الله-، ونحن هنا في بيان مواضيع مهمة لانطلاقات بحوث جامعيَّة من خلال هذا النَّظم القرآني الفريد:

١- أنَّ هذا القرآن العظيم الذي هو أعظم الكتب السماوية يهدي للتي هي أقوم.

٢- فمن ذلك توحيد الله جل وعلا، فقد هدى القرآن فيه للطريق التي هي أقوم الطُّرُق وأعدلها.

٣- ومن هداية القرآن للتي هي أقوم: هدايته إلى أنَّ التقدُّم لا ينافي التمسُّك بالدين.

٤- الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات المعروف عند أهل الأصول بالتحسينات والتتميمات، وكل هذه المصالح الثلاث من هداية القرآن العظيم للتي هي أقوم.

فالمصلحة الأولى: الضروريات التي هي درء المفاسد.

والمصلحة الثانية: جَلْب المصالح.

والمصلحة الثالثة: الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات.

٥- من هداية القرآن للتي هي أقوم: بيانه أنَّ كل مَن اتبع تشريعًا غير التشريع الذي جاء به سيد ولد آدم مُحَمَّد بن عبد الله -صلوات الله وسلامه عليه-؛ فاتباعه لذلك التشريع المخالف كفر بواح مُخْرِج عن الملة الإسلامية.

٦- من هداية القرآن للتي هي أقوم هدايته إلى حلِّ المشكلات العالمية بأقوم الطُّرُق وأعدلها.

وللأسف تجد في الساحة العلميَّة بعضًا ممن كتبوا في تدبُّر القرآن الكريم، هو جمع لما تفرَّق من نصوص علميَّة، مع حُسْن الترتيب والتنظيم لها، دون أن يكون للمؤلف دور في إبراز تأملاته، حيث إنه من القوة بمكان في هذا الجانب، ومع ذلك يُشكَرون عليه في معرفة جوانب علميَّة وضوابط في فهم القرآن الكريم، ينطلق من خلالها الباحث في آفاق واسعة في التدبُّر للقرآن الكريم، ويحسن بالباحثين في تدبُّر القرآن الكريم كشف جوانب مضيئة من تدبُّر الآيات، كما فعل الأستاذ الدكتور عبد الله دراز في كتابه (النبأ العظيم) في إيضاح فكري لآيات وموضوعات سورة البقرة، وبيان تناسقها بوحدة موضوعيَّة، بأسلوب لغوي متين، وإبراز المعاني بإثراء فريد، وكذلك سلسلة (ليدبروا آياته) الصادر عن مركز تدبُّر، ففيه إرشادات تدبريَّة لجمع من أهل العلم من السلف والخلف(١).

ثالثًا: التميُّز الفكري باستيعاب التصور الإسلامي وهضمه، حيث تُعَدُّ صياغة الفكر الإسلامي وتقريبه للذهن واستحضاره بسهولة أمر في غاية الأهمية، حيث يُنبِئ ذلك عن فهم رشيد ووضوح الرؤى في وضع كلِّ أمر في مكانه الصحيح.

(١) وكذلك (قواعد التفسير جمعًا ودراسة)، لخالد بن عثمان السبت في مجلدين، وهي رسالة دكتوراه مقدمة في الجامعة الإسلامية.

قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين بن علي الحربي في مجلدين، وهي رسالة ماجستير مقدمة في جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، وموضوع الثانية أخص من الأولى؛ إذ هي في القواعد الترجيحية.

ومن هنا يجد الباحث تصورات جديدة عند قراءته واطلاعه، وذلك بربطها بوعاء فكره الأساس وثقافته.

فلو قرأت بحثًا مثلًا في مصادر التعلُّم النَّشط في مجال التربية، ثِقْ تمامًا أنك ستجد في ثنايا قراءتك منطلقات فكرية تنقدح في عقلك، لها ارتباط وثيق بالوعاء الأساس لحصيلتك العلمية.

فعلى سبيل المثال ربما ينقدح في ذهنك الاستفادة من التعلُّم النَّشط في تقرير أول واجب على العبيد وهو التوحيد، وهو بالضبط اختيار موضوع البحث، وذلك بتشكيل تقرير التوحيد ومادته ضمن معايير التعلُّم النَّشط، مما يستدعي جهدًا كبيرًا، في تقسيم موضوع البحث إلى مباحث ضمن التعلُّم النَّشط في تقرير التوحيد.

رابعًا: من أهم المواطن في اختيار عنوان البحث العلمي هي أن تبني قصور فهمك في مواضيع لم تتحدَّد صورتها بشكل كامل في تحصيلك العلمي المتين، وهي مواضيع ذات أهمية في اختيارها في البحث العلمي، وتحقيقها تحقيقًا علميًّا مُؤَصَّلًا، وغالب هذه المواضيع هي محل إشكال بين أهل العلم وفيها أخذ ورد، مما يثير هِمَّتك لدراستها وبيان القول الراجح فيها.

وأضرب على ذلك مثالين:

الأول: ترتيب أحداث اليوم الآخر بعد البعث والنشور ترتيبًا سليمًا حسب دراسة النصوص الشرعيَّة، والتوفيق بينها؛ حتى تصل إلى الترتيب الصحيح.

الثاني: تحقيق مسألة فقهية، إلا وهي قراءة المأموم خلف الإمام في الصلاة الجهرية.

خامسًا: دراسة فقه الواقع، بحيث تعيش مع الحدث زمانًا ومكانًا وأشخاصًا، وتُدقِّق على البواعث أو الأحجام مراعيًا أحوال الأُمَّة في إمكانياتها وممتلكاتها الشرعيَّة والاجتماعيَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة للفرد والمجتمع.

فتلاحظ في هذا الفقه الأحكام الأصليَّة، وأحكام الضرورات والحاجات الخاصة، ومدى انطباقها على الحدث الواقع، ودراسته دراسة مستفيضة تخرج برؤيا جديدة لعنوان بحث جديد.

سادسًا: الربط بين الماضي والحاضر.

أن دراسة الحاضر يجب أن تستند إلى معرفة الماضي؛ لأنه الأصل الذي أفرز لنا هذا الحاضر، ومنه نستشرف المستقبل، ونسعى لتحسينه وتطويره، ومَن لا ماضيَ له فلن يكون له حاضر ولا مستقبل. (ثقافة المسلم بين الأصالة والتحديات، موسى إبراهيم الإبراهيم، ١٤١٨).

سابعًا: معرفة السُّنَن الكونية:

إن دراسة حاضر العالم الإسلام يجب أن تتمَّ وَفْق منهج السُّنَن الربانيَّة التي لا تتبدَّل ولا تتغيَّر؛ لنعرف من خلالها أسباب قوة العالم وضعفه، وأسباب تقدُّمه وتراجعه، وموقع الإسلام وشخوصه، ومنها نستمد رؤية واضحة في اختيار المواضيع ذات التأثير في سلوك الأُمَّة الإسلاميَّة للطريق الصحيح.

فنون الكتابة وصياغة البحث العلمي:

لكتابة البحوث العلميَّة والمقالات الدعويَّة فنون لا تدع صاحبها حتى يصيب خاتمة الفكرة، وهي في المقام الأول ممارسة وقيادة في ميادين العلم والتربية، وذلك بصياغتها بالكتابة.

وقبل الخوض في مهارات الكتابة، هناك ملحظ سلبي في كتابة البحوث الأكاديميَّة، حيث إن أغلبها تم صياغتها بشكل رسمي، وجمود في التسلسل الفكري للمعنى، مما يُشعِر القارئ بالمَلَل والرَّتابة، وهذا راجع في ظني إلى أن الباحث يعتمد على المنهج المعرفي فقط دون التحليل والنَّقد، وذلك بنقل المعلومات كما هي من المصادر والمراجع مع ربطها بأدوات الربط في اللغة.

مما لا يتسنى للباحث الغوص في كتابة أفكاره وصياغتها بطريقته.

ولو كان الامر بيدي لألغيتُ الاقتباس من المصادر والمراجع في البحوث العلميَّة، مع الاكتفاء بنصوص الشريعة، والعزو إليها، فيُبحر الباحث في شرحها وإيضاحها وبيان مدلولاتها في ظِلِّ قراءته الواسعة للمراجع والمصادر، وصياغة تصوُّرِها في بوتقة علميَّة واحدة، مما يُنمِّي لدى الباحث جانب الفهم والشمول في تقرير القضايا، فتنطلق بها أسارير وجدانه وسلطان قلمه في الكتابة بعيدًا عن الاقتباس والعزو لذلك في المصادر، فهو إعاقة فكريَّة في تسلسل العقل في مدارك منطقته للمعرفة، أضف إلى ذلك أن أغلبية الاقتباسات هي (برستيج)؛ لتسويد بياض البحث تكثيرًا للمراجع وتنوعها، أو حشوًا لملء صفحات المبحث بالتمام، وقليل ما من الباحثين الذين يُوفَّقون للاقتباس السديد بما يخدم فكرتهم؛ للوصول إلى النتائج.

ثم تعال أيُّها المُوَفَّق نستعرض أنا وأنت فنون الكتابة الإبداعية بعيدًا عن لوائح مناهج البحث التقليديَّة في ذلك، وأن نُقدِّم شئيًا جديدًا من التجربة الحيَّة في الميدان، ومحاولة الإلمام بشيء منها، فنقول مستعينين بالله بإيجاز:

١- الفهم قبل الكتابة.

٢- ثقة الباحث بنفسه وبفكرته المَرْهَنَة بقوة الأدلة، مع تواضعه واحتسابه الأجر، ومراقبة الله في إخلاصه، فإنَّ للفكر سطوة وللقلم سطوة لا ينتزعهما إلا التذَلُّل لله بضعفك وافتقارك له.

٣- النَّقد والتحليل مطلبان في شخصية الباحث يستعرض فيها فكرَه والتعبير عنه بدقَّة وإتقان.

٤- إبراز الفكرة الرئيسة، بأن تكون الأفكار متتالية من ناحية المعنى وترتبط بها.

٥- إثارة اهتمام القارئ بالبحث وأهميته من خلال أمرين:

أ- قوة الأسلوب اللغوي في الألفاظ، وغزارة المعاني في بلاغتها.

ب- قوة الفكرة وبرهنتها بشكل واضح.

٦- أن تبني صياغة البحث وكتابته ضمن قواعد عامة للفكرة والموضوع حتى تتجنَّب التكرار والاسترسال المملِّ.

٧- التدرُّج في كتابة البحث إلى نهايته بروح وثَّابة واحدة تتعمق في شعور الداعية إلى الله لنفع الناس وإصلاحهم مستشعرًا قوله تعالى: {وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ} [هود: ٨٨].

وفي الختام؛ هذا ما جاد به الفكر والقلم على ضعف جلل بالنسبة إلى مَن هم أهل اللواء في هذا الجانب، وإنما تطفُّلي بالكتابة في هذا الموضوع هو براءة طفل يريد من أبيه أن يرى صنيعه، فإن أحسن استبشر به خيرًا، وإن أخطا وجَّهه إلى الصواب.

وكل ما أرجوه وأدعو الله به أن يتقبَّل هذا العمل، وأن يُسدِّدنا في القول، وأن يُخرِجنا من الخطأ إن أخطأنا، وأن يُنبِّهنا من غفلتنا إن غفلنا.

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.